منحوتة أنو بانيني (1)

كمال نوري معروف

موقع المنحوته :

خلفت لنا قبيلة لولو احدى قبائل جبال زاغروس منحوتة شهيرة تعرف باسم منحوتة أنو بانيني ، في منطقة بين قصر شيرين وكرمنشاه تعرف باسم زهاب بالقرب من موضع اسمه سربول .

وصف المنحوتة : المنحوتة صور حجرية ناتئة منحوتة في الصخور الجبلية ، وقد سوى النحات وجه الجبل بين الارض وفتحة المنحوتة لكي يتمكن من اكمال عمله الفني . وقد قسم النحات الجزء المخصص لعمله هذا الى عدة حقول احداها فوق الآخر ومقسمة باشرطة بارزة لتصوير المشاهد ، لتكملة جوانبها المتعددة في اطار واحد يعطي للناظر معناه الفني والزمني الحقيقي . نشاهد في أعلى المنحوتة زعيم اللولوبيين ورد اسمه منقوشاً في الكتابة المسمارية باسم انو بانيني وهو واقف امام الهة عشتارالتي تقود اليه الاسرى من اعدائه [2] حاملاً بيده اليسرى قوساً وسهماً يضمها الى صدره . أما في جهة اليمين فيمسك بهراوة الحرب التي تمثل قوته وجبروته . صور الملك بلحية طويلة وفي عنقه قلادة مصنوعة من لألىء كبيرة وصغيرة . وهذا يثبت ان الملوك كانوا مغرمين بالمجوهرات . أما غطاء راسه فهو عبارة عن خوذة من اللباد ذات حاشية عريضة، يرتدي وزرة قصيرة مصنوعة من مادة رقيقة ذات طيات مشقوقة طولاً ، ليسمح له بحركة طليقة اثناء السير، يتمنطق عليه بحزام . وفي يديه الاساور ويحتذى صندلاً . وقد وضع قدمه اليسرى على عنق زعيم الاعداء ، مقلداً بذلك الملك الاكدي نرام سين في نحته الموجود في دربندگاور وفي مسلة نصر المحفوظة الآن في متحف اللوفر بباريس . تقف أمامه آلهة ننى (عشتار) (الهة الحب والحرب) ترتدي رداءً سماوياً مقدساً طويلاً ، مشقوقاً قطرياً ، ذا طيات عمودية متموجة اشبه بالماء الذي تهب عليه الريح . لم يكن الرداء مثبتاً على الردف الايسر وانما تحت الكتف اليمنى ، حيث ظهرت الطيات بوضوح . على رأسها تاج مقرن ذا نهاية مدورة ونشاهد خلف رأسها عقدة الشعر وفي عنقها قلادة من لألىء كبيرة وصغيرة وفي يدها اليمنى اساور وعلى كتفها تنبعث الرموز على شكل صولجانات وهي تقدم بيدها اليمنى الى انوبانيني الحلقة وتمسك بيدها اليسرى حبلاً شد به اثنين من الاعداء ، نشاهدهما خلفها وهما عاريان ، في وضعية التضرع والاندحار ومقيدي الايدي من الخلف . تظهر على محياها ابتسامة خفيفة تسحرنا وتأسرنا لأول وهلة . نشاهد في اعلى المنحوتة رمزاً للآلهة عشتار في داخل دائرة وهي عبارة عن النجمة الرباعية التي تشع اشعاعها ـ في الحقل السفلي نشاهد مشهد الاسرى المعتدين وهم عراة ، يسيرون في صف واحد وينتظرون دورهم في الوصول الى الملك ، ليسجدوا له ، وقد نحتوا بحجم صغير لكونهم اسرى وبطريقة فجة وبلا مبالاة . أما حقل الكتابة الاكدية الموجودة أمام مشهد الاسرى والمكونة من عدة اسطر تتضمن ما يلي :

1 ـ ان الهة عشتار جاءت بهؤلاء الاسرى الى الملك .

2 ـ ان اللولوبيين في منتصف الالف الثالث ق.م. لهم دولة ونظام الطبقات الاجتماعية .

3 ـ جاء في الكتابة ان انوبانيني الملك اللولوبي نحت صورته و صورة عشتار، مع ذكر اسم الجبل الذي عليه المنحوتة[3] .

4 ـ في الكتابة ذكر لآلهة عديدة اكثرها اكدية .

المنحوتة من الناحية الفنية : يظهر من خلال تتبعي لتفاصيل هذه المنحوتة ، ان النحات الذي قام باخراج المنحوتة بشكلها هذا ، قد تأثر بالتيارات الفنية الحضارية الاكدية وبالتيارات الفنية السائدة الاخرى في بلاد وادي الرافدين ، حيث ان هذه التأثيرات شيىء ظاهري وواضح لمن يشاهد المنحوتة في اطارها هذا . والطابع العام لهذه المنحوتة عبارة عن تصميم زخرفي متكامل حسب الاسلوب المترابط وهو مبدأ يتمثل في اسلوب الفن الاكدي . فقد استطاع النحات ان يرتب الرسوم الآدمية بشكل يحافظ على بناء السرد القصصي وهو مبدأ بعيد عن التجمع الجامد[5] . فنشاهد في هذه المنحوتة موضوع حربي في تفاصيله

- منحوتة انوبانيني -

وكامل في مضمونه من البداية وانتهاءً بسطور الكتابة ونتائجها ، ومثلها شاهدنا في آثار دربندگاور ومسلة انتصار نرام سن الاثر العام الذي يعطي مشاهد هذه المنحوتة ، انها تذكارية احتفالية بحدث كبير وعرض مسألة كبيرة يتعلق بمجموع القبيلة★ . لذلك كان شيئاً طبيعياً ان تمجد الهة عشتار ووصف حروبها وذكر انتصاراتها . من هنا لم يكن النحات يسعى الى التعبير عن رؤى عينيه وعرض الاشياء كمايراها هو ولكنه كان يصور الاشياء في النطاق الذي حدد له في الاطار المنتظم للاساليب الفنية التقليدية وعدم الخروج منها . يظهر لنا من خلال الثوب الطويل الذي تلبسه الهة عشتار ، ان النحات السومري عمل على الباس اشكاله دون تأكيد الشكل والهيئة ، حيث ان الملبس السومري المخصل يحول الشخص الى كتلة لاحياة فيها وثوب عشتار هذا يسقط في طيات طويلة متموجة اشبه بالماء الذي تهب عليه الريح[3] . رسم النحات صورة عشتار بشكل تقليدي وهي قصيرة القامة وعينها كبيرة وانفها مستقيم ذو نهاية مدورة والذقن صغير ، الا انه اهتم كثيراً بابراز الايدي والقدمين بشكل طبيعي[3] وهذه ميزات سومرية حقاً . من الممكن الجائز قوله ، ان هذا اللباس الذي تحدثنا عنه يشبه اللباس السومري

كثيراً في الاسلوب ، حيث يصدر عنه بريق يخطف الابصار . وشيء بديهي ان ثياب الالهة ابهى من ثياب الامراء . التاج الذي نشاهده على رأس عشتار في مظهر جانبي ذي نهاية مدورة ، هو التاج الالهي المقرن . باعتقادي ان النحات الذي قام بتصوير هذه المشاهد ، قد درس الفن المعاصر في العاصمة اور ، دراسة جيدة وله المام تام بتفاصيل الفن الاكدي أيضاً . الا ان مانشاهده على صورة انو بانيني بخلاف ماشاهدناه على صورة عشتار ، نجد ان النحات في صورة انو بانيني قد نجح في نحت عضلات الذراع والصدر والساق بشكل طبيعي وهذا يثبت ان النحات يرفض الصيغ الجامدة الخالية من الحياة . وغطاء رأسه اكدي دون ريب . ولحيته تشبه اللحي الموجودة على التماثيل السومرية المتأخرة ، حيث ان اللحية الطويلة المسترسلة كانت معروفة منذ العهود السومرية القديمة . ومن الجائز ان الاكديين استعاروا اللحية الطويلة من السومريين وحزامه أقل سمكاً مقارنة بحزام نرام سن في منحوتة دربند كاور . ونستنبط من هذا ان النحات لم يتحرر بعد من بعض القيود التي ورثها من العصور السابقة . وقصر قامة انو بانيني يعطينا الانطباع بان النحات عمل على هذا لكون صاحبه واقف امام آلهة ننى (عشتار) . ومن الجائز ان النحات لم يكن نحاتاً بالمعنى الحديث وانما كان صانعاً ماهراً يرسم حسب مايجوز له العادات الدينية المتوارثة سابقاً . أما بعد فان صورة المنتصر المتمثلة في شخص انو بانيني الذي يطأ بقدمه عنق عدوه الساقط ، هو موضع الاهتمام لانه يؤلف نقطة المركز وكذلك صورة الاسيرين الراكعين خلف عشتار ومشهد الاسرى ، كل ذلك يعتمد على اساس اكدي[8] . وهذه ظاهرة جديدة جاء به الاكديون وادخلوه ضمن المميزات الخاصة بحضارتهم وثقافتهم الجديدة . ومشهد الاسرى الذي نشاهده على المنحوتة ، خاتمة كل الحروب الناجحة اللذين يقادون الى الاسر من قبل الطرف المنتصر . ولما كانت المعارك آنذاك تعتبر حروباً بين رب مدينة واخرى فمن السهل اذن الافتراض ان الحرب تظاهرة دينية ومناسبة يخرج فيها الكل حتى الاتقياء والكبار في السن لجلب رضى اله مدينتهم[9] . لذلك فان مشاركة الهة عشتار في هذه المعركة والذي نشاهدها تطأ بقدمها رأس العدو ، شيء مألوف ، لأن قدسية الحرب تقاس بقدسية اشتراك الاله فيها . ونقطة اخرى جديرة بالبحث في هذا المجال ، هي ان اسلوب تقسيم السطوح الى جملة حقول باشرطة بارزة والذي نشاهده في هذه المنحوتة ، طريقة سومرية بحتة[10] ، وقد اخذها الاكديون منهم وطوروها بالشكل الذي نشاهده في منحوتاتهم الناتئة . وقد نحت النحات منحوتته لكي يشعر ويعبر من خلال فنه اثراً يضمن له حياة دائمة في ذاكرة الناس وفي تحقيق الخلود . وهذا شيء منطقي ومعقول في زمن يعيش الناس وفي مخيلته البقاء الدائمي ، لأن طابع المجتمع ديني ويعزي الفرد كل الحوادث التي تحدث يومياً الى الآلهة وهو مبدأ وافر الآلهة ، كثير الصراع ، لذلك فالفرد يعيش في الاوهام وحياته مرتبطة بموقف الآلهة سلباً أم ايجاباً .

رأينا في المنحوتة : ان الرموز الموجودة على منحوتة انو بانيني تحتاج الى فكها لكي نستطيع التعرف عليها . ومن المعلوم ان طابع الفن في بلاد الرافدين يشتهر باستعمال الرمز استعمالاً واسعاً فصار الجزء المميز يستخدم للدلالة[11] على الكل . واذا نجحنا في هذا ، نستطيع تحديد الغرض من نحتها والفترة التي ترجع اليها تماماً ، حيث اثرنا لحد الآن فترته الزمنية غير واضحة . يقول الاستاذ طه باقر بهذا الخصوص مايلي : (ان زمن هذه المنحوتة يرجع الى العصر الاكدي « (2470-2285) ق.م.» [12]) .

لم يذكر الاستاذ الفاضل أي من الاجيال الفنية الثلاث ترجع اليها المنحوتة ، وهذا يدفعنا الى قبول رأيه بشيء من التحفظ . كما ذكرنا فاولى هذه الرموزيتمثل في رمز الهة عشتار وهي النجمة الرباعية داخل دائرة في قمة المنحوتة ، تشع اشعاعها مباركة هذا الانتصار العظيم الذي حققه انو بانيني على اعدائه بمؤازرة الهة عشتار ، حامي القبيلة في وقت الحرب . وهنا يمكن عقد مقارنة بين هذا الرمز والرمز الموجود على مسلة انتصار نرام سن ، حيث ان الرمزين يشتركان في اعطاء معنى واحد . وهذا الرمز الموجود على منحوتة انو بانيني يشبه من حيث الشكل رمز الهة عشتار الموجود على منظر قديم (سومر ـ اندرى بارو ص360) وليس ببعيد فان الصانع المجهول لمنحوتة انو بانيني قد نحت هذا الرمز بالاضافة الى معناه الديني ليملء الفراغ الحاصل الموجود بين الشخصين على مايبدو . اما الصولجانات المنبعثة من كتفي عشتار من الممكن ان ترمز للملكية . حيث نفهم ان الملوكية من

المظاهر الحضارية في بلاد وادي الرافدين ، ومن الوجهة الدينية فانها كانت من خصائص الاله فقط ، ونفهم من بعض النصوص المسمارية بان الهة عشتار هي التي استطاعت الحصـول على الملوكية من الاله انكي وانها بدورها انعمت بهـا على البشر[13] ومعنى هذا ان الهة عشتار صاحبة التاج الالهي والصـولجان الملكي ، اي اجتمعت في يدها السلطتان الدينية والدنيوية في آن واحد . وتقديم الحلقة الى انو بانيني من الممكن معناه اعطى قوة السلطة الملكية اليه ، ليصبح ظلها على الارض في حكم الناس . اما السلاح الموجود بيد انو بانيني والذي عبارة عن القوس والسهم ، يشبه القوس والسهم الموجودين بيد عشتار على بعض التصاوير الموجودة على الاختام الاكدية (انظر اللوحة 5 ـ الفن في العراق القديم ـ ص 188 ـ تأليف انطون مورتكاد) . واذا جاز هذا فمعناه ان الهة عشتار اعطت سلامها الالهي الشخصي الى انو بانيني لكي يدمر الاعداء وينتصر عليهم . ونستنتج من الكتابة الاكدية ان الجبل الذي نحت عليه هذه المنحوتة له اهميته الكبيرة ، حيث يعطي حدود سلطة انو بانيني الواصل اليه في ذلك الوقت ، واذا كان في داخل مركز حكمه فلا يحتاج الى ذكره لأنه معلوم لدى الجميع وليس بغريب عليهم . أما اسم انو بانيني فاكدي بدون شك . ومجمل القول ان منحوتة انو بانيني ومسلة انتصار نرام سن ومن ضمنها (منحوتة دربندگاور) يعرض علينا الى حد كبير اقدم الازياء لمستوطني بلادماد مع التعـريف بسحنتهم . تقول الكتابة الموجودة على مسلة نصر ان اللولوبيين يلبسون الملابس الخفيفة والطويلة تتدلى الى الاسفل وعلى اكتافهم قطعة من جلد الحيوان تتقاطع على الصدر . وهذا النوع من اللباس حسب قول هيرودوتس لباس الاوانيين والماديين والكاشيين في الالف الاول ق.م. حيث لهم شعور رؤوس طويلة ولحيٍ قصيـرة[14] . في هذه المنحوتة نشاهد انو بانيني بملابس حربية ، أما الاسرى فعلى رؤوس ثمانية منهممن مجموع تسعة ، أغطية سومرية واكدية ، أما الاسير التاسع الذي يتقدم بقية زملائه في الصف الامامي السفلي ، على رأسه غطاء يختلف عن أغطية رؤوس بقية الاسرى الآخرين ، وهذا النوع من الغطاء خاص بالماد الشرقيين ، حيث اخذه الاخمينيون فيما بعد منهم . ونستنتـج من كتابـة مسلة النصر ان العادات والتقاليد الخاصة بسكان بلاد ماد في ناحيتي أصل الاجناس والأثنوغرافيا ظلتا على حالهما ولم تتغير خـلال الالفين الثالث والاول ق.م.

نتيجة البحث : تبين لنا مما عرضناه بخصوص هذه المنحوتة وما تعطي من المعاني ، قد لعبت في اخراجها توأمين من الحضارة السومرية ـ الاكدية كما ذكرنا قبل قليل . من هذا المنطلق يمكن عقد مقارنة بين لباس آلهة ننني (عشتار) وتاجها ورأسها الكروي ولمة الشعر ، بلباس وتاج والرأس الكروي ولمة الشعر الموجودة على مسلة اورغو (انظر اللوحة 189 ـ الفن في العـراق القديم ـ تأليف انطوان مورتكات ـ ص 226) و (اللوحة 201 ـ تفاصيل لمسلة أورغو (اللوح 194 ـ ص.232 ـ نفس المصدر) حيث على تشابه تام . وكذلك مقارنتها من ناحية الملبس والتاج بمسلة گوريا ـ ممثلاً بصورة ننكزادا (القرن 22 . ق.م. (لوحة 284 ـ ص 284 ـ سومر ـ تأليف اندري بارو) . الا ان مايتعلق بوقفة انو بانيني ومقارنة بوقفة نرام سن في مسلة نصر يعطي الادلة القوية على قوة النهضة الاكدية المتمثلة في اسلوب التعبـير عن واقع الحـوادث في ذلك الوقت ـ من هذه الخاصية المعبرة ، من الممكن ان زمن المنحوتة يرجع الى عصر لاتزال التيارات الحضارية الاكدية تلعب دورها بالرغم من زوال سلطتها العسكرية وهو عصر الانبعاث السومري الجديد (سلالة اور الثالثة) ، اي الى القرن الثـاني والعشرين (2200 ق.م.*) . ومشاهد هذه المنحوتةيمكن اعتبارها بمثابة عصر انبعاث جديد الى قبيلة لولوبي بعد النكسة التي منيتبها في حربها ضد نرام سن الاكدي في منطقة شهرزور (2254 — 2230 ق.م.*) . ان سحنة اسرى منحوتة أنو بانيني بعد مقارنتها بالتصـاوير الأدمية الموجودة في الالواح الجدارية البارزة التي ترجع الى عهد آشور بانيبال والذي يصور الاخير انتصاره على تيومان والجيش العيلامي (لوح ـ 284 ، لوح 267 ـ الفن في العراق القديم* ـ انطون مورتكات ـ ص 426 ، 386) حيث على تشابه كبير فغير مستبعد انه حدثت في هذا العصر معركة ضارية بين اللولوبيين والعيلاميين وحلفائهم من القبائل الساكنة في منطقة زاغروس ، والنهاية جاءت بهزيمة العدو العيلامي الغازي المحب للحرب والغزوات وطردهم من المنطقة ،؛ ونتيجة لهذا تمكن هؤلاء اللولوبيين من السيطرة على مدخـل بوابـة زاغروس★ وسهلت لهم الدخـول الى سهل

العراق من شرق وشمال العراق الشرقي مرة اخرى ولو لفترة قصيرة .

الهوامش :

1 ـ يتكون اسم انو بانيني من المقاطع

An — nu — ba — ni — ni

ومعناه (الاله انو الذي خلقنا) . ويظهر من هذا ان جاز القول ان اله انو من الالهة الرئيسة لدى قبيلة لولو ، حيث له مكانة بارزة من بين جموع الآلهة الاخرى باعتباره راس الهرم المشكل .

ـ على الطرف الثاني من الحدود توجد منحوتة اخرى من نفس الفترة ، معروفة لدى الاهليين باسم منحوتة (هورين ـ شيخان) (مركز ناحية تابع لقضاء خانقين) او منحوتة دربند (بيلوله) لوقوعها في المجاز الجبلي المعروف باسم دربند بيلوله . تمثل هذه المنحوتة الناتئة شخصاً واقفاً يمسك باحدى يديه قوساً وباليد الآخر آلة منبلة وقد وضع احدى قدميه على جسد احد اعدائه كما توجد امامه صورة صغيرة تمثل عدواً آخر رافعاً يديه بوضعية التضرع وخلفه كتابة مسمارية من عدة اسطر . سوف نعود اليها في بحث آخر .

ـ وقد ورد اسماء هؤلاء اللولبو في المصادر القديمة بصيغ مختلفة وتفسر بمعاني عديدة .

2 ـ طه باقر وفواد سفر ـ المرشد الى مواطن الآثار والحضارة ـ الرحلة السادسة ـ بغداد ـ حلبجة ـ 1966 ـ ص 24 .

3 ـ ئي. م. ديلكونوف ـ ميديا ـ ترجمة برهان قانع من الفارسية الى الكردية ط1 ـ 1978 ـ ص 159 ، 160 .

4 ـ د. فاضل عبد الواحد ـ محاضرات على طلاب كلية الآداب ـ قسم الآثار ـ تاريخ الشرق ـ السنة الثالثة ـ 1967 - 1968 .

5 ـ انطون مورتكات ـ الفن في العراق القديم ـ ترجمة وتعليق : الدكتور عيسى سليمان وسليم طه التكريتي ـ ص 185 .

* ـ هذه الخاصية يتميز بها الفن في بلاد الرافدين .

للمزيد انظر : سبتينو موسكاتي ـ الحضارات السامية القديمة ـ ترجمة زاد عليه د. يعقوب بكر ـ مراجعة د. محمد القصاص ـ ص 106 وما بعده .

6 ـ انطون مورتكات ـ المصدر السابق ـ ص 169 .

7 ـ د. سامي سعيد الاحمد ـ السومريون وتراثهم الحضاري ـ منشورات الجمعية التاريخية ـ ص 60 .

8 ـ انطون مورتكات ـ المصدر السابق ـ ص 263 .

9 ـ د. سامي سعيد الاحمد ـ المصدر السابق ـ ص 112 .

10 ـ انطون مورتكات ـ المصدر السابق ـ ص 228 .

11 ـ سبتينو موسكاتي ـ الحضارات السامية القديمة ـ ترجمه وزاد عليه د. يعقوب بكر ـ مراجعة د. محمد القصاص ـ ص 106 .

12 ـ طه باقر وفؤاد سفر ـ المصدر السابق ـ ص 24 .

13 ـ د. فاضل عبدالواحد ـ محاضرات على طلاب كلية الآداب ـ قسم الآثار ـ مادة العراق القديم ـ السنة الثانية ـ 1966-1967 .

14 ـ ئي.م. ديلكونوف ـ المصدر السابق ـ ص 161 .

* ان الصيغة الاكدية القديمة للفاتح قد عادت فظهرت ثانية في نحت ناتيء على مسلة في عصر الانبعاث ، حيث نشاهد في عهد حكم شوسن ، رئيس اركان الحرب يطا يقدمه احد الاعداء المدحورين هو الامير انداسو امير زابشالي . وهذا من اكثر الادلة المقنعة على قوة النهضة الاكدية في عهد مملكة سومر واكد .

انظر كتاب : انطون مورتكات ـ الفن في العراق القديم ـ ترجمة وتعليق الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ـ ص 233 .

* استطاع نرام سن في سنوات حكمه محاربة سكان هذه المناطق الجبلية وشنت عليهم اعظم الحملات العسكرية ، حيث استطاع ان يقضي على حلف عقده الكوتيون واللولبو وخلد ذكرى انتصاره عليهم بالمسلة المعروفة باسمه والتي نصبها في منطقة شهرزور .

د. فاضل عبدالواحد ـ محاضرات على طلاب كلية الآداب ـ قسم الآثار ـ تاريخ الشرق ـ السنة الثالثة ـ 1967-1968 .

* هو الطريق الذي يربط سهل العراق بطريق سيرابول زهاب والذي يمر بمدن كرمنشاه وهمدان وتتضمن مرتفعات بشت كوه المشرفة في الجنوب على سهل العراق ممرات طبيعية نلحظها في وديان بعض الانهر امثال وديان آبي شنكولا وكلال بدرة وآبي كنكير وهو طريق تمر به الجيوش الغازية .

انظر كتاب : د. سامي سعيد الاحمد ـ السومريون وتراثهم الحضاري ـ ص 11 .